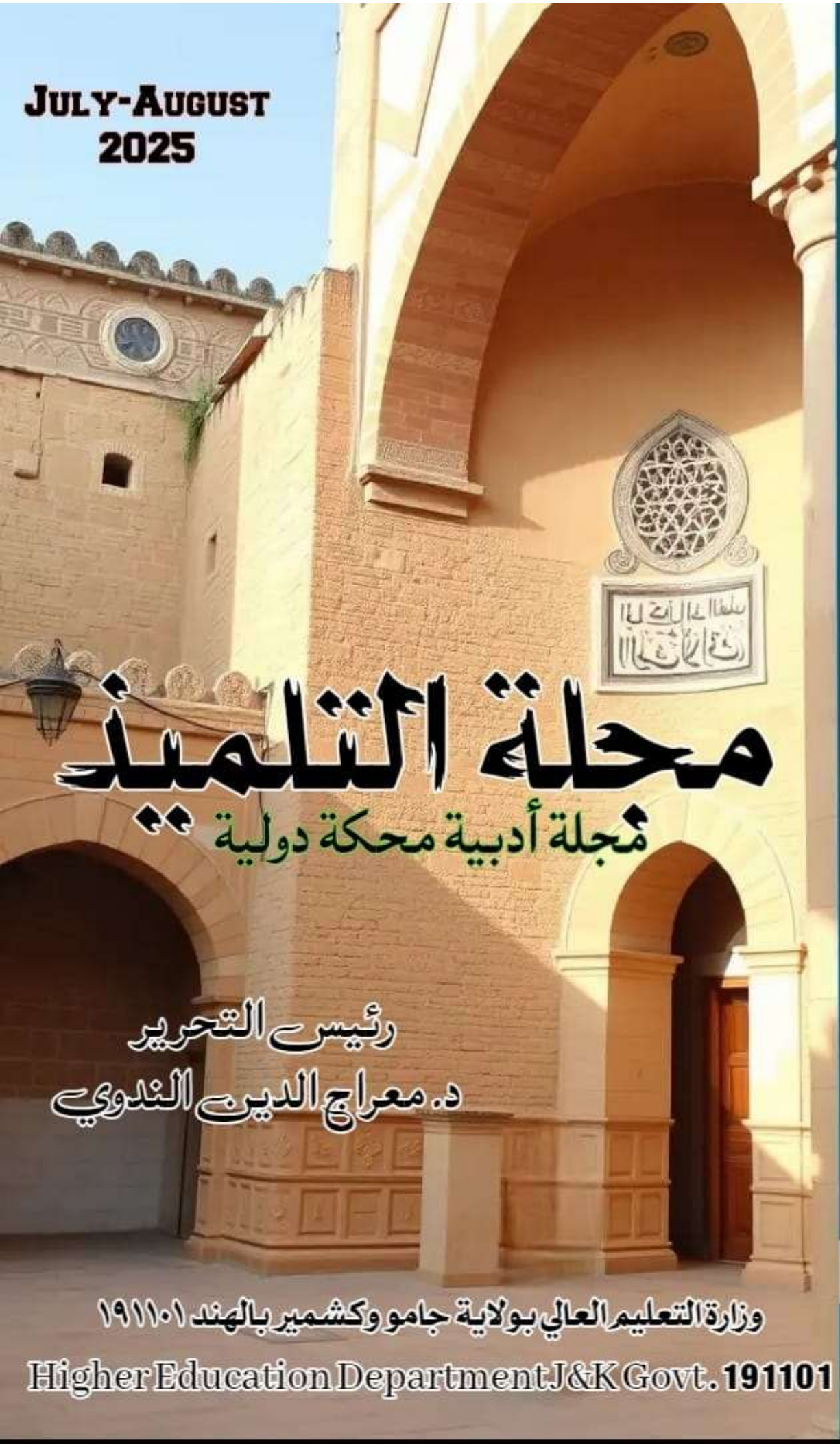

أيقونة اللغة العربية

ISSN
2394 - 6628

معامل التأثير العربي
1.33

International

Arabic Journal

JULY-AUGUST
2025

مجلة التلميذ

مجلة أدبية محكمة دولية

رئيس التحرير
د. معراج الدين الندوي

وزارة التعليم العالي بولاية جامو وكشمير بالهند ١٩١١٠١

Higher Education Department J&K Govt. 191101

Editor - in - Chief
Dr. Meraj Ud Din Para Nadvi

Government of Jammu & Kashmir
Higher Education Department

Chief Patron
Sakina Itoo
Cabinet & Education minister

Cultural and Lingual Ambassador
Dr Asgar Hassan Samoon
Ex IAS Officer

Vice Chief Patron
Prof. Mohd. Sanaullah al-Nadawi
Chairman & Professor (AMU)

مجلّة التّلميذ

AL-TILMEEZ

ISSN 2394 -6628

Monthly Arabic Research Journal
Of
Higher Education Department J&K Govt.
A Monthly Refereed Research Journal in Arabic Language & Literature

سجّلوا انتصاركم بمداد الفخر

Director of Journal
Prof. M.Muzaffar Husain Nadvi

Editor in Chief
Dr.Meraj ud Din Para Nadvi

أعضاء لجنة التحكيم

تضم مجلة التلميذ الدولية المحكمة لنشر البحوث والدراسات كوكبةً من الأساتذة و النقاد و الدكاترة والأدباءالمتخصصين في تحكيم البحوث والأوراق الأدبية و العلمية من مختلف الجامعات العربية العالمية:

مشرفة لجنة التحكيم
وفـــاء عبـــد الـــرزاق
شاعرة و روائية و قاصة
المملكة المتحدة – لندن

رئيس لجنة التحكيم
أ.د.سيد جهانغير
أستاذ الأدب العربي بجامعةالإنجليزية بالهند و اللغات الأجنبية، حيدرآباد

مدير لجنة التحكيم
البروفيسور عبد الماجد القاضي
رئيس قسم اللغة العربية و آدابها
الجامعة الملية الإسلامية بالهند

مستشار لجنة التحكيم
الدكتور شمس كمال أنجم
اللغة العربية بجامعة رئيس قسم
كشمير بالهند بابا غلام شاه بادشاه

من أعضاء لجنة التحكيم
د. كريمة نور عيساوي
أستاذة تاريخ الأديان،
جامعة عبد المالك السعدي، تطوان

من أعضاء لجنة التحكيم
البروفيسور محمد أيوب تاج الدين الندوي
مدير المركز الثقافي الهندي العربي
بالجامعة الملية الإسلامية، نيودلهي بالهند

من أعضاء لجنة التحكيم
د. سيد بشير أحمد
اللغات الأجنبية ـ الشعبة الإنجليزية
كلية العلوم والآداب
جامعة نزوى، سلطنة عمان

من أعضاء لجنة التحكيم
أ. مجيب الرحمن الندوي
رئيس القسم بمركزالدراسات العربية و
بجامعة جواهرلال نهرو،نيو دلهي بالهند الإفريقية

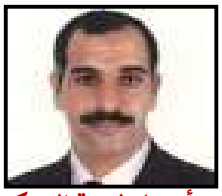

من أعضاء لجنة التحكيم
أ.د. محمد الأمين خلادي
أستاذ التعليم العالي بقسم اللغة
و الأدب العربي
بجامعة أحمد دراية، ادرار الجزائر

من أعضاء لجنة التحكيم
د.عبدالمنعم عبدالله
استاذ في جامعة تكريت بالعراق
(النحو واللسانيات)

من أعضاء لجنة التحكيم
د. أورنك زيب الأعظمي
مدير تحرير "مجلة الهند"
والأستاذ المساعد
بالهند الجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي

من أعضاء لجنة التحكيم
أ. د.عبيد الرحمن الطيب
الأستاذ المشارك بمركزالدراسات العربية و
الإفريقية بجامعة *جواهرلال نهرو*،نيو دلهي بالهند

من أعضاء لجنة التحكيم
د.ناصر سليم محمد على الحميدي
أستاذ الأدب و النقد المشارك جامعة تبوك
الكلية الجامعية بأملج المملكة العربية السعودية

من أعضاء لجنة التحكيم
د.حسن عبد العليم عبد الجواد يوسف
جامعة قناة السويس مصر

من أعضاء لجنة التحكيم
د. إرشاد أحمد مير
الأستاذ المساعد بـ*الجامعة الإسلامية* للعلوم
والتكنولوجيا*أونتي بوره كشمير بالهند*

من أعضاء لجنة التحكيم
د. معراج أحمد معراج الندوي
الأستاذ المساعد بالجامعة العالية،الهند

اسم المجله بالانجليزيه	AL-Tilmeez
ISSN	2394-6628
الدوله	الهند
اصدارات المجله	اضغط هنا
معامل التاثير لسنه 2019	1.18
معامل التاثير لسنه 2020	1.2
معامل التاثير لسنه 2021	1.29
معامل التاثير لسنه 2022	1.31
معامل التاثير لسنه 2023	1.33

مجلة أدبية علمية عربية محكمة

تصدر عن وزارة التعليم العالي بجامون و كشمير الهند.

مجلس التحرير

Editorial Board

الرئيس العام سكينة إيتو

نائب الرئيس العام البروفيسور محمد ثناء الله الندوي

مدير التحرير البروفيسور محمد مظفرحسين الندوي

رئيس التحرير الدكتور معراج الدين الندوي

مساعدو رئيس التحرير:

البروفيسورة دنيا باقل	(الجزائر)
الدكتورة نور أفشا ں	جامعة كشمير بالهند
الدكتور عناية الله واني الندوي	وزاة التعليم العالي كشمير بالهند
الدكتور فاروق أحمد ميرالقاسمي	جامعة كشمير بالهند
الدكتور محمد ريحان الندوي	جامعة جواهر لال نهرو بالهند
الدكتورمحسن عتيق خان	جامعة جواهر لال نهرو بالهند
الدكتورة زهراء علي دخيل	(لبنان)
الدكتور رياض أحمد الندوي	وزاة التعليم العالي كشمير بالهند
د.نور عائشة/Dr. Noor Aisha(للإنكليزية)	جامعة أنديرا غاندي الوطنية المفتوحة

Advisory Board / الهـيـئــة الاستشارية

الدكتور أصغر حسن ساموں (Ex- IAS)	موظف مدني من الخدمة الإدارية الهندية سابقا
البروفيسور محمد صلاح الدين العمري	رئيس قسم العربية سابقا بجامعة عليكرة الإسلامية
البروفيسور كفيل أحمد القاسمي	عميد كلية الآداب سابقا بجامعة عليكرة الإسلامية
البروفيسور يسين أحمد شاه	مدير الكليات الحكومية سابقا بكشمير سرينجر
البروفيسور محمد سميع أختر	رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة عليكرة الإسلامية
البروفيسور محمد فيضان بك	الأستاذ بقسم اللغة العربية بجامعةعليكرة الإسلامية
البروفيسور مسعود أنور علوي	رئيس قسم العربية سابقا بجامعة عليكرة الإسلامية
البروفيسور رضوان الرحمن	رئيس مركزالدراسات العربيةوالإفريقيةبجامعةجواهرلال نهرو
الدكتور ريحان أختر القاسمي	الأستاذ المساعد بقسم علم اللاهوت السني عليكرة بالهند
البروفيسورة سلوى جرجيس سلمان النجار	رئيس قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة كركوك بالعراق
البروفيسور السيد جهانكير	جامعة اللغة الإنجليزية و اللغات الأجنبية بحيدرآباد
البروفيسور حبيب الله خان	رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة الملية الإسلامية
البروفيسور عبد الرحمن وار	رئيس معهد اللغة العربية بصورة سرينجر،كشمير
البروفيسورة تسنيم كوثر	قسم العربية و آدابها بجامعةعليكرة الإسلامية بالهند
الدكتور عنايت رسول	رئيس قسم اللغة العربية و آدابها بالجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا كشمير
الدكتور زكريا السرتي المغربي	المدير العام لشبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات بالمغرب
الدكتورة عرفاني رحيم	الأستاذة المساعدة بقسم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية للعلوم و التكنولوجيا كشمير
الدكتورهاني يوسف أبو عليون	كاتب فصص قصيرة جدا ،القويسمة/عمان الأردن
الدكتور شمس كمال أنجم	رئيس قسم اللغة العربية بجامعة بابا غلام شاه بادشاه
د. تيسير محمد أحمد الزيادات	المحاضر بالجامعة السعودية الإلكترونية
الدكتور رضوان بلخيري	رئيس تحرير مجلة الرسـالة الدولية للدراسـات والبحوث ومحاضر بقسـم علوم الإعلام والاتصال و نائب عميد كلية العلوم الإنسانية والإجتماعيةبجامعة العربي التبسي الجزائر.
الدكتور قاضي عبدالرشيد الندوي	الباحث الأكاديمي بالدوحة دولة قطر
الدكتور شكيل أحمد الشفائي	الباحث الأكاديمي و المحاضر بالمدرسة الحكومية بكشمير
الأستاذ عبدالقادر سلامي	جامعة تلمسان بالجزائر
الدكتورة زرنغار	الأستاذة المساعدة بجامعة جواهرلال نهرو،الهند
الدكتور مأمون على خلف الله حسن	الباحث الأكاديمي في البلاغة القرآنية بالقاهرة ، مصر
أ.د. محمد قاسم لعيبي	جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية
د. إدريس مقبول	أكاديمي وباحث مغربي، و أستاذ في المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين فاس مكناس.
الدكتور علاء الدين ك.أم	المحاضر بقسم الماجستير و البحوث للغة العربية ، كلية السنية العربية- كاليكوت الهند

محتويات العدد

كلمة العدد	رئيس التحرير	0 9
"مجلة التلميذ"منبر تربوي وإبداعي....	أ.د. مجيب الرحمن	12
صلات الفعل (خرج و أخرج)	د.أورنك زيب الأعظمي	13
تحولات الشخصية في رواية الجسور الزجاجية..	د. عبدالرحمن مرضى علاوي	25
الإعلام الإسلامي و حقوق الإنسان	د.معراج أحمد معراج الندوي	43
تعليم المرأة في روايات كوليت الخوري	حامد مختار	59
الاتجاه الواقعي في قصص أحمد السباعي القصيرة	محمد سلمان	67
قصيدة النثر و تجليات الحداثة في شعر أمجد ناصر	محمدإسحاق ب/د.عبدالله نجيب م	73
العناصر البلاغية في مقامات الحريري	د.جابر.ك	80
استعراض "في رحاب الأدب و اللغة"...	د.غياث الإسلام الصديقي	89
المعوكة الأدبية بين طه حسين و ناصر الدين الأسد	د.فيصل نذير	108
إيذاء الأطفال و استغلالهم في المجتمع العربي...	إرم زهراء رضوي	119
تأثير الأساليب التعليمية الحديثة على تعلم اللغة	د.موسى عيسى زين الدين	130
الأستاذة مه جبين أختر و دورها الريادي في نشر اللغة	د.عبد الحكيم	140
الحياة الإجتماعية في كولكاتا كما صورها	د.أنوار الحق	151
تدريس اللغة العربية في ولاية البنغال الغربية ...	حسيب الرحمن	159
الشيخ ك.ميدو مولوي المرحوم صوت الدعوة..	بقلم:شافع . ت	168
الحق في الجسد و أثره في مشروعية التدخل الجيني	رؤى عبد القادر منصور	175
مسالك اكتساب الملكة اللغوية...	د.أشرف بن عبدالقادر مرادي	190
معلقة العصر الحديث "بيت الطين"...	وفاء عبد الرزاق	209

AL-TILMEEZ
Arabic Research Journal
Of
Higher Education Department J & K Govt.
A Monthly Refereed Research Journal in Arabic Language & Literature

بسم الله الرحمن الرحيم

"في حضرة الكلمة، وعلى مائدة الفِكر"

كلمة العدد
مجلة التلميذ –
العدد: يوليو/ أغسطس 2025م

بسم الله، والحمد له حمدًا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، الذي ميّز الإنسان بالعقل، وشرّفه بالكلمة، وجعل البيان دليل الفهم، والعلمَ مير اثًا لا يبلى، واللغة العربية تاجًا على مفرق اللسان، وجوهرةَ التعبير، ومَعينَ الفكر، ومرآةَ الروح. وصلاة وسلامًا على من أُوتي جوامع الكلم، ونُصِبَ هاديًا ومعلّمًا، محمدٍ المصطفى، وآله الأطهار، وصحبه الأخيار، ومن سار على نهجهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

أيها القراء الأفاضل،

ها نحن نعاود اللقاء بكم، في رحاب هذا المنبر المعرفي النابض، مجلة التلميذ، التي أرادت لنفسها أن تكون جسرًا بين الأجيال، ومَرسًى للباحثين، ومِشكاةً للإبداع العربي، تحفظ جمال الكلمة، وتستنبطن ألق الفكر، وتوقظ فينا شغف السؤال وحنين الجواب.

وعددنا هذا - لشهري يوليو وأغسطس 2025م - لا يجيء كحشد من الصفحات أو تناثر من الأقلام، بل يأتي كقافلة فكرية، ومأدبة أدبية، تتوزع أطباقها بين بحوث لغوية، ومقاربات نقدية، ونفحات تربوية، وتأملات إنسانية، نرجو أن يجد فيها القارئ الماهر ضالته، ويغترف منها المحب للعلم ما يرويه.

يفتتح العددُ الدكتور أورنك زيب الأعظمي بدراسة لغوية ماتعة حول «صلات الفعل (خرج وأخرج)»، يغور فيها إلى أعماق المعنى، ويستنطق السياق، مستلهمًا من القرآن الكريم وسنن العرب، في تزاوج بهي بين النحو والبيان. ثم نرتحل إلى عالم الرواية، حيث يصافحنا الدكتور عبدالرحمن مرضي علاوي بتحليل أدبي بعنوان «تحولات الشخصية في رواية الجسور الزجاجية»، يسلّط فيه الضوء على التشكل النفسي والاجتماعي للشخصية الأدبية في ضوء حركة الأحداث وتوتراتها. وفي ميدان الإعلام والفكر، يكتب الدكتورمعراج أحمد معراج الندوي عن «الإعلام الإسلامي وحقوق الإنسان»، منبهًا إلى خطر خطاب الكراهية، وداعيًا إلى خطاب جامع يشيع الرحمة والكرامة. أما الباحث حامد مختار، فيأخذنا إلى عوالم كوليت الخوري في بحثه «تعليم المرأة في رواياتها»، حيث تتجلى صورة الأنثى بين الوعي والتحرر، وبين المجتمع وطموح الذات. ويُطلّ محمد سلمان برؤية نقدية عن «الاتجاه الواقعي في قصص أحمد السباعي»، حيث يستعرض كيف نبض المجتمع السعودي في قصص السباعي، وكيف سُكبت الواقعية في قوالب سردية نابضة بالحياة. ثم نصل إلى نص حداثي تحليلي يتناوله محمد إسحاق ب والدكتورعبدالله نجيب م في دراستهما المشتركة «قصيدة النثروتجليات الحداثة في شعرأمجد ناصر»، نافذتان تفتحان على شعرية جديدة تتداخل فيها الحداثة مع البوح الفني. ويواصل الدكتورجابر. ك الغوص في كنوز التراث من خلال بحثه حول «العناصر البلاغية في مقامات الحريري»، حيث تتجلى عبقرية الصياغة وسلاسة اللفظ وجزالة المعنى. ويقدّم الدكتورغياث الإسلام الصديقي قراءة نقدية لكتاب «في رحاب الأدب واللغة» للبروفيسورعبد

الماجد القاضي، منوهًا إلى مقالاته الثريّة في الأدب المقارن، وسِحر البيان، ودقة اللغة. وفي ركن الجدل الفكري، يسلط الدكتورفيصل نذير الضوء على «المعركة الأدبية بين طه حسين وناصر الدين الأسد»، موثقًا ذلك التراشق العلمي، وآثاره في مسارات النقد والدراسة. و تتناول الباحثة إرم زهراء رضوي في دراستها «إيذاء الأطفال واستغلالهم في المجتمع العربي» مسألة إنسانية مُوجعة، تُنبئ عن خلل القيم، وتقترح ضو ابط إصلاحية من عمق الوعي المجتمعي.

ويكتب الدكتورموسى عيسى زين الدين عن «تأثير الأساليب التعليمية الحديثة على تعلم اللغة العربية»، رابطًا بين النظرية والتجربة، والموروث والابتكار. وفي ركن التكريم والوفاء، يوثّق الدكتورعبد الحكيم سيرة الأستاذة مه جبين أختر، وجهودها الر ائدة في نشر العربية في جنوب الهند، مثالًا حيًّا للعطاء العلمي في صمتٍ وصدق. أما الدكتور أنوار الحق، فيقدم قراءة اجتماعية بعنوان «الحياة الاجتماعية في كولكاتا كما صورها...»، مجسّدًا حيوية المدينة من مرآة الأدب والثقافة. ويتناول الباحث حسيب الرحمن تحديات تدريس العربية في البنغال الغربية، في محاولة لفتح أفق جديد في ضوء الو اقع والإمكان. ويكتب شافع. ت عن شخصية شامخة من كيرالا: الشيخ ك. ميدو مولوي، حيث يقدّم صورة للشيخ كصوتٍ للدعوة، وقلمٍ للإيمان، وروحٍ نابضة بالأمل والإصلاح. وفي الفقه والفكر، تضيء الباحثة رؤى عبد القادر منصور زاويةً فقهية بالغة الحساسية في بحثها «الحق في الجسد و أثره في مشروعية التدخل الجيني»، مستقرئة المسألة في ضوء أصول الشريعة ومستجدات العصر. ويبحر الدكتورأشرف بن عبدالقادر مرادي في مبحث لغويّ خالص بعنوان «مسالك اكتساب الملكة اللغوية»، جامعًا

بين تراث العلماء ومناهج اللسانيين المحدثين. ويُختم العدد بأنفاس الشعر، في قصيدة الشاعرة وفاء عبد الرزاق بعنوان «معلقة العصر الحديث: بيت الطين»، حيث تجتمع شفافية الشعور برصانة العبارة، في مشهد شعري يحاكي روح المعلقات، ويهمس بروح العصر.

أيها الأعزاء،

بين دفّتي هذا العدد تسكن كلماتٌ حية، وبحوثٌ جادة، وهمسات فكر، وعبير أدب، نأمل أن تجدوا فيها غذاءً للعقل، ومتعةً للروح، وإشراقًا للقلب.

وما توفيقنا إلا بالله.

فإلى لقاءٍ متجدد،

رئيس التحرير

د. معراج الدين الندوي

مدينة العلوم العربية – سرينغر، كشميروالله

مسالك اكتساب الملكة اللغوية «مسلك الحفظ والمذاكرة نموذجا»

د. أشرف بن عبد القادر مرادي.

دكتوراه في الحديث النبوي وعلومه.

البريد الالكتروني: achraf.mouradi@gmail.com

أستاذ التربية الإسلامية بالسلك الثانوي التأهيلي، المملكة المغربية.

https://orcid.org/0009-0000-7071-0006

Abstract: **Linguistic proficiency cannot be found in the mind of a student who merely skims through texts, nor can it be attained by cursory browsing, nor does it become part of him through wishful thinking, nor can it be achieved through laziness. Rather, it can only be attained by those who roll up their sleeves and work hard, who withdraw from their families and tighten their belts, and who must return to books of literature, grammar, rhetoric, and dictionaries morning and evening, and who finds no room for laziness, and who does not taste the sweetness of idleness. With patience and perseverance in the sanctuary of continuous reading in this art, and by continuing to study and practise in the books of those who are knowledgeable in this field, and by attending the gatherings of those who have mastered it, he will hopefully one day become one of the masters of linguistic proficiency. As for those who are idle, basking in the shade of comfort and indulging in the pleasures of life, let them know that they are deceiving themselves with false hopes and illusions, He should not hope to live long in this knowledge, for this knowledge does not give the student pure wisdom until it gives him pure longing and love, nor does it present him with its jewels and pearls until it influences his desires and pleasures, nor does it reveal to him the secret of its treasures until he spends his most precious wealth in its pursuit.**

المدخل إلى الموضوع: إن الملكة اللغوية لا تجد لها مستقرا في نفس الطالب بالقراءة العابرة، ولا يحصلها بالتصفح الوامض، ولا تصير جزءا منه بالتمني، ولا ينالها بوسف، ولعل، ولو أني؛ بل لا يحصلها إلا من كشف عن ساعد الجد وشمر، واعتزل أهله وشد المئزر، ولازم الترداد إلى كتب الأدب، والنحو، والبلاغة، والمعاجم بكرة وأصيلا، وألا يجد للكسل عرفا، وألا يذوق للدعة طعما، فبالصبر والمصابرة في محراب القراءة المستمرة في هذا الفن، وبالمداومة على الارتياض والممارسة في كتب أهل هذا الشأن، وبالتحلق في مجالس ذويه المتحققين به، يرجى له أن يصير يوما من أرباب الملكة اللغوية، أما من كان خلوا من الاشتغال، متفيئا ظلال الراحة، ومتقلبا بين أعطاف النعيم؛ فليعم أنه يمني النفس باللحوق، ويرجيها درك المعالي بالوهم والسراب، فلا يطمع أن يعمر طويلا في هذا العلم؛ لأن هذا العلم لا يعطي الطالب خالص الحكمة، حتى يعطيه خالص الشوق والمحبة، ولا يتحفه بجواهر ودرره، حتى يوثره على شهواته وملذاته، ولا يكشف له عن سر مخزونه، حتى يدفع في سبيله أغلى مهوره.

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب بأفصح لسان، والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم والبيان، وعلى آله وصحبه أولي التقى والإيمان، وعلى من سار على نهجهم، و اقتفى أثرهم، إلى يوم الدين، وبعد.

فلا يشك من شدا شيئا من العلم، و اقتبس بعضا من أنواره، أن المفتاح الأول للدخول إلى حاضرة تراث الأئمة الأعلام، والمعبر إلى الارتياض في مصنفات أرباب الفصاحة واللسان، لا يكون إلا من خلال كسب الملكة اللغوية، والتحقق بمناهج صناعة كلام العرب، والإكثار من قرع أسلوبها الساحر، وتحسس أسرار البلاغة في كلامها الآسر، وتلمس المسالك التي تخرج بها أئمة هذا الشأن.

فلا تزال العلوم مقفلة على طالبها، محجوبة أسرارها على متلمسها حتى يدخلها من باب اللغة؛ لأن اللسان هو الناطق بتراث الأمة، والوعاء الحامل لكنوز معارفها، والأداة المفصحة عما حوته من جليل المعاني، ودقيق الأنظار"والاستهانة بها، والتفريط في قواعدها ورسومها، إنما هي استهانة وتفريط بمعارفنا كلها، وهدم لتاريخ الأمم، ومحو لها من الوجود"[399].

إن تحصيل الملكة في كل علم، معناه اقتدار السالك فيه على التدقيق والتحقيق، وخوض غمرة البحث والنظر باستقلالية وتفرد، والانتقال من التصور النظري، إلى التصرف العملي، وملاحقة مناهج أئمته للبصر بطرقهم في اختيار المعاني الجياد، وكيفية إيداعها فيما يناسبها من الألفاظ، و اقتفاء آثارهم في مسالك بناء القصائد وتشييدها، وكتابة الخطب والرسائل وتحبيرها. فمن وصل هذه المنزلة، وأدرك هذه الرتبة؛ فقد استولى على أصول الملكة، وتملك زمام الصناعة، وعد عند أهلها من أرباب الحذق والنظر.

إن علماءنا كانوا على وعي تام بأهمية زرع بذور الملكة في نفوس الطلبة، وتدريبهم على مناهج اكتسابها، وتمليكهم أدوات التحقق بها؛ لأنهم موقنون أن طلابهم لا يقوون على إتمام تشييد ما أسسوه، والاستمرار في حمل المشعل الذي أوقدوه، إلا إذا كانوا محصلين لهذه الملكة، متضلعين من العلم ومناهج بنائه، مكتسبين مهارات الإبداع والإنتاج.

ومن هنا وجب على الناظر في كتب أئمة اللغة أن يميز بين مقامين في قراءتها؛ بين مقام التحصيل المعرفي الصرف، الذي يعنى بضبط الجانب الصناعي؛ كالحدود، والتقاسيم، والشواهد...إلخ. وبين مقام تلمس مناهج بناء هذه المعرفة، والإحاطة بالأصول التي صنعت بها، إذ بهذا النظر الجمعي، الذي تلتحم فيه المعارف بطرق بنائها يشتد عود الملكة، ويثبت أساسها.

[399]- الطناحي، "مقالات العلامة الدكتور محمود محمد الطناحي"، (1/-281-179).

يقول الدكتور محمد أبو موسى: "لقد لاحظت أن علماءنا الذين شاركوا في تأسيس العلوم، كانوا يهتمون اهتمام واضحا ببيان الخطوات التي سلكوها في استنباط حقائق العلوم، وكانوا يزاوجون في إعداد الجيل الذي يخلفهم بين أمرين: الأول: تعليم أصول العلم؛ والثاني: بيان كيف استخرجت هذه الأصول، والخطوات التي سلكوها، وكأنهم يعلمون تلاميذهم العلم، ويعلمونهم أيضا علم صناعة العلم، حتى يكون هؤلاء التلاميذ متممين لسيرتهم، وماضين على دربهم"[400].

قلت: إن هذا العلق النفيس، والجوهر الثمين، حقيق بإمعان النظر، واستكناه دفائنه؛ لأنه لا مطمع لكل ذي توق نوال حظ و افر من علومهم، وتحصيل مبلغ من أبكار فهومهم، إلا بسلوك الطريق الأقوم، و اتباع المنهج الأحكم الذي يوصل إلى التحقق بهذه الملكة التي تفتح أعين الناظرين على قراءة ما خلفوه من ميراث فكري جليل، ونتاج علمي رصين، يعرج به إلى ذروة سنام الأسلوب المرصع المبين، وتذوق رفيع الدلالات والمعاني، وتلمس جليل الألفاظ والمباني التي تعيد صوغ عقله ليصير مقتدرا على محاكاة العرب في أسلوبها، و اقتفائها في طرق نظمها للكلام شعرا ونثرا.

وهذه المنارات والمسالك التي تصنع طالب الملكة، لم يجمعها علماؤنا في كتاب، كما هو الشأن في قواعد النحو، والصرف، والبلاغة، والأشعار، والخطب، والحكم، والأمثلة السائرة، والفروق اللغوية. إلخ، لكنهم ما برحوا باثين لها في كتبهم، وما فتئوا منبهين على طرف منها تصريحا أو تلويحا في معرض حديثهم عن الأساليب البلاغية، والأشعار العالية، والخطب السامقة السامية، كما هو الشأن عند أبي عثمان الجاحظ، الذي يوقفك على طرف من هذه المسالك التي تبصرك بصناعة الكلام، وتهديك إلى حسن التصرف في الألفاظ، ومراعاة طبقات المعاني، وتصريفها بما يو افق المقام والحال.

قلت: وهذا الأمر لم ينفرد به الجاحظ؛ بل إن المتتبع للكتب المؤسسة للغة والأدب، يجدها تنحو هذا المنحى؛ كالإمام عبد القاهر الجرجاني، و ابن قتيبة، والمبرد...، فيحتاج منك تلقف هذه المنارات والأسس إلى نفوذ ذهني في خفي كلامهم، وتعمق يزيل حجاب ما سترمن هذه الأصول، التي هي بمثابة الأصداف النفيسة التي لا تجدها ملقاة على قارعة الطريق، وهذا شأن كل نفيس وغال من الأمور الحسية والمعنوية.

فجماع القول ولبه: إن هذه المنارات يحتاج استنطاقها إلى تتبع واستقراء، ويفتقر إظهارها إلى تأمل ونظر، ومد الجسر إلى كتب التراجم والسير، ومصنفات المجالس الأدبية وغيرها؛ لأنها حوت بديع النصوص، و أثير الشهادات التي تبصر القارئ بالمراحل التي قطعها هذا اللغوي أو ذاك الأديب في طلبه للعلم، وجمعه للغة،

[400]- أبو موسى، "مناهج علمائنا في بناء المعرفة"، (ص: 186).

وتحصيله للملكة، فيتحسس من سيرته إشارات وضيئة، ويقتبس من مناقبه توجيهات سديدة، يجعلها المتأخر منائر تهديه في دروب تحصيل الملكة اللغوية.

وما من شك أن كتب السير العامة، ومصنفات التراجم الخاصة باللغوين والأدباء، يجد فيها القارئ طلبته، ويحصل منها بغيته في مرات كثيرة بما لا تتحفه به كتب العلم التي وضعت لمناقشة مسائله ومباحثه، وضرب الأمثلة المجلية لقواعده، فيحتاج إلى استنطاقها واستخراجها من كتب التراجم الخاصة، وطبقات اللغوين.

هذا؛ وإن القصد الأول من تدوين العلوم بعد تحقيق التعبد والامتثال، تحصيل الملكة، وتملك الأدوات المنهجية التي تجعل مبتغي الرقي والصعود في سلمها، مقتدرا على تخير عيون كلام العرب شعرا ونثرا، وتركيبها في صورة بلاغية تحقق قصد البيان والتبيين، والفهم والإفهام.

يقول الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (ت 1393هـ): "إن العلوم ما دونت إلا لترقية الأفكار، وصقل مرائي العقول، وبمقدار ما يفيده العلم من ذلك ينبغي أن يزاد في اعتباره، فما القصد من كل علم إلا إيجاد الملكة التي استخدم لإصلاحها"[401].

وإذا كانت الملكة بهذه المنزلة، فيجب الأخذ بكل ما يفيد في تنميتها، ويساعد على الارتقاء بها إلى أعلى المستويات، ولعل أولى المسالك بالاعتبار، مسلك التطبيق والممارسة، الذي إذا غاب في الدرس والتحصيل، أصيبت قدرات الطالب بالارتخاء والصدأ، فلا يجني من ذلك إلا ترداد عبارات يلوك بها لسانه، لا ترقيه إلى منزلة الفصحاء، وإذا تعطلت قدرته على التصرف والتنزيل، لم يكد يبين إلا بشق الأنفس، وما هو ببالغه!!

وإخال أن هذه العلة من بين الإشكالات التي يعانيها منها الدرس اللغوي في الجامعات، فتلافي متخرجا من سلك الإجازة أو الماستر، ولا يستطيع نظم قصيدة شعرية، ولا كتابة رواية، ولا تأليف رسالة يبوح فيها بما يختلج صدره بأسلوب محلى بما درسه من المحسنات البلاغية، وإذا تكلم قرع سمعك لحن جلي، وتعبير ثقيل، تمجه الأسماع، وتأنف من التلذذ به الجوارح، ولا يصل إلى القلب إلا بعد إتعاب الفكر، وكد الخاطر[402].

---

[401]- ابن عاشور، "أليس الصبح بقريب"، (ص: 175).

[402]- يقول الشيخ علي الطنطاوي (ت 1420هـ): " لقد رأيت مسودات رسائل ماجستير ودكتوراه نالت بعد ذلك الدرجة العالية، فكنت أجد فيها من الغلط، والخبط، والأخطاء والجهالات ما لا أرتضيه من طالب المدرسة المتوسطة". "الذكريات"، (315/8).

وقال في موضع آخر: "مررت بحلقة فيها نفر، فهمت من كلامهم أنهم من طلبة العربية والأدب في المدارس العالية، فقعدت قريبا منهم أستمع إليهم، وكان واحد منهم يقرأ في كتاب، فما رأيته سلمت له خمسة أسطر متتابعات، وما مر على خمسة أسطر إلا رفع فيها منخفضا، وخفض مرفوعا، وحرف الكلم عن مواضعها، وأزالها عن منازلها، ولم يدع لغويا، ولا نحويا، ولا عالما بالعربية من لدن أبي عمر بأول الدهر إلى الأشموني في آخره، إلا

يقول إبراهيم المازني (ت 1949م): "إن الطلبة يقضــون الأعوام الطويلة في التعلم، ثم يخرجون وهم لا يمتازون في أذواقهم، ونزعات نفوسـهم عن الجماهير، أو يفضـلونها بسـمو في نظرتهم، أو رحب آفاقهم، أو بعد في غاياتهم"[403].

لا شــك أن ضــعف هذه المخرجات راجع إلى عوامل كثيرة، يحتاج الوقوف عندها إلى دراســة ميدانية محكمة، وإلى تشخيص دقيق لواقع منهاج تدريس وحدات اللغة وعلومها بأدوات توصل إلى معرفة مكامن الخلل والضعف، ومواطن القوة. لكني أحسب أن جوهر الإشكال، راجع إلى عدم استهداف المهارات العليا؛ وعدم تدريب الطالب على طرق اكتساب الملكة، ومناهج تملك الصناعة، وأساليب التعامل مع كتب التراث اللغوي...إلخ.

لا أنكر أن هناك عللا موجبة لهذا الضعف ترجع إلى ذات الطالب، لا إلى طبيعة منهج التلقي في الجامعة، ؛ كضـعف الهمة، والبعد عن القراءة المسـتمرة، والمطالعة الدائمة، والزهد في مصـاحبة ذوي الخبرة والسـبق العلمي، ومذاكرة الأقران، ومطارحة الخلان، فهذه العوامل وغيرها لها بالغ الأثر في ضــعف الملكة، لكن الطالب في بدء تكوينه يكون جاهلا بالمسلك الصحيح، والطريق اللاحب الذي ينقله في مدارج التحصيل، ويرقى به في سلم التأصـيل، فيحتاج إلى منهاج جامعي محكم يبصـره بها، وإلى طرق فعالة في التدريس تزرع فيه بذور امتلاكها، وإذا لم تنهض شعب اللغة العربية، ومعها بالتبع شعب الدراسات الإسلامية بهذه المهمة، فمن ينهض بها إذن؟؟

يقول الأسـتاذ أبو فهر محمود شـاكر (ت 1418هـــ): "إن أسـباب ضـعف النشء في العربية ليس يرد إلى المعلم والكتاب؛ بل مرده إلى المنهج الذي يقيد المعلم بقيود كثيرة ترفع عنه التبعة في نتيجة التعليم، ويقيد الكتاب بمثلها، ويعطى النشء ما لا يصلح عليه لسان، ولا يستقيم به تعليم لغة"[404].

إن كفاية المدرس، وحســن صــوغ المقررات الجامعية، له أثر كبير في حســن بناء الملكة أو ضــعفها، فلا يســتهان بهما في صــناعة الطالب؛ لكن كلام أبي فهر منصــب على المناهج الضــيقة التي تصــاغ بها المقررات في

نبش قبره، وبعثر عظمه، أما الطلاب الحاضـرون فكان منهم من يتنبه للحنة الظاهرة فيرده عنها، ويغفل عن الخفية، وسـائرهم يغفل عن ظاهرها وخفيها. فضاق صدري حتى خفت أن يتفجر بغضبة للعربية لا أدري ما عاقبتها، فحملت نعلي، وخرجت هاربا أسعى". "الذكريات" (318/8).

قلت: أما لو اطلع الطنطاوي على حال طلبة هذا العصر، لخر صعقا مغشيا عليه.

وذكر الدكتور الطناحي في مقالاته (262/1) أنه يسـأل طلبته في السـنة الأخيرة من الإجازة عن كتب الجاحظ، والمبرد، وأبي عالي القالي، وابن قتيبة، فلا يظفر إلا بصبابة قول، لا تكاد تتجاوز اسم الكتاب، مع تخليط كثير في بعض أسماء الكتب، وأسماء أصحابها.

[403]- قائد، "العمر الذاهب"، (ص: 161).

[404]- شاكر، "جمهرة مقالات الأستاذ محمود شاكر"، (152/1).

الجامعات، وضيق الزمن المخصص لتصريفها؛ مما يفرض على الأستاذ أسلوبا معينا في التدريس، وطريقة خاصة في تصريف مقررات الوحدة.

ولسنا هنا بصدد تتبع نقائص الدرس اللغوي الجامعي، أو إظهار مواطن قوته؛ لكننا أحببنا الإشارة إلى طرف من العلل الخفية التي لها مساس بطبيعة الموضوع.

إشكال البحث:

كيف يؤثر مسلك الحفظ والمذاكرة في اكتساب الملكة اللغوية؟

أهداف البحث:

- بيان أثر الحفظ في اكتساب الملكة اللغوية.
- الكشف عن أهمية المذاكرة في اكتساب الملكة اللغوية.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة إشكال البحث وأهدافه اعتماد المنهج التحليلي منهجا رئيسا، وذلك من خلال تحليل النصوص وتفسيرها، وتعليلها وتركيبها، كم تمت الاستعانة بالمنهج الوصفي في جمع المادة من مظانها، واستقرائها من مصادرها من أجل الكشف عن المنهج الذي سار عليه علماء اللغة في اكتساب الملكة اللغوية.

أولا: أثر مسلك الحفظ في اكتساب الملكة اللغوية.

إن من الرزايا التي ابتلي بلوثتها كثير من طلاب العصر، اعتقادهم أن الحفظ قسيم الفهم، وأن الحافظ الحاذق، عديم التصور، عقيم النظر، لا يقوى على استكناه المعاني الدقيقة، والغوص على الأسرار الخفية المحجوبة؛ لأن ذلك ليس إلا لأرباب العناية بالفهم زعموا!! وهذه شبهة استحكمت حتى صارت منهجا يعمل به، ومعتقدا يدافع عنه، وأصبح لوك اللسان بها في المجامع منقبة يحمد ناشرها، ومزية يتفاخر بها القرين على قرينه، ولست أعيب ذلك على طالب يحبو في العلم، ولم يستوف منه عدد الرضعات ما يحرم عليه هذا القول، ولكني أتعجب من أستاذ صال في تراثه وجال، وأمعن في سير المتحققين به من الرجال، لكنه يأبى لنفسه أن يصارح طلابه، وأن يجابههم بالطريق الذي إذا ضلوه ضلوا، وإذا حادوا عنه تاهوا في شعاب الجهل ولم يهتدوا، وأن يكاشفهم أن هذا الحفظ به حفظت علوم من يقتات على تراثهم، وبه حاز الشهادات والترقيات. ولست أعرض بأحد، ولا يحملني على هذه الصرخة إلا إيقاظ همم، أصابتها موجة العصر بالصدأ والرّان، حتى عميت عليهم بينة حقيقة كانت من المسلمات في الطلب عند المتقدمين، فمن أبى إلا الإعراض، فلا نلزمه بها وهو لها كاره.

إن اللغة العربية منذ عصر الجاهلية إلى فجر الإسلام، إلى ما بعدهما من عصور أوج العطاء البياني، قامت على الرواية والنقل، وتوارثها العرب و أبناؤهم مشافهة وسماعا، ورضعوها من أثداء أمهاتهم سليقة وملكة، والعمدة في كل ذلك قوة الحفظ، وشدة التيقظ لما يلقى، حتى اشتهروا بحفظ المعلقات الطوال، والأبيات ذوات العدد، والمنتخبات والمفضليات، فجاء بيانهم بهذا الحفظ مشرقا كأنه خرج من مشكاة نبوة، يعانق كبد السماء في عليائه وسناه، لا تجد فيه ما ينفر طبعك، ولا تلافي فيه بهرجا يأنف منه سمعك.

واستمر العمل على هذا السَنَنَ إلى عصور التدوين، وظهور العجمة، واستشراء اللحن، واختلاط العرب بغيرهم، فانبرى حراس حدود العربية، والمدافعون عن حياضها، الذابون عن شرفها، إلى تتبع الأعراب في القرى والبوادي، يقيدون كل كلمة لم يخالطها لحن، وكل شعر لم يصبه تصدع، فجمعوا ما استطاعوا إليه سبيلا، وقيدوا ذلك في مصنفاتهم، وضموه إلى معاجمهم، حتى صار علم الأعراب إلى دواوين هؤلاء، فمن أراد أن يعرف معهود العرب في لسانها، وفي طرق نظمها للشعر، وكتابتها للخطب والرسائل، فلا طريق له إلا من خلال هذا الميراث المكتوب الذي نقل إلينا محفوظا مكنونا.

يقول أبو نصر الجوهري (ت 393هـ): "قد أودعت هذا الكتاب ما صح عندي من هذه اللغة، (...) بعد تحصيلها بالعراق رواية، و إتقانها دراية، ومشافهتي بها العرب العاربة، في ديارهم بالبادية، ولم آل في ذلك نصحا، ولا ادخرت وسعا"[405].

فالشاهد أن العربية وعلومها قامت على الرواية والمشافهة والسماع؛ إذ لم تكن الكتابة منهجا مطردا، لقلة أدواتها، ونزارة وسائلها، ولاستغنائهم عنها بهذه الذاكرة القوية، والحفظ المتين، "ولولا الحفظ في تاريخنا التراثي لما أمكن لهذه الطائفة من عباقرة العربية، أن يسجلوا لنا هذا القدر الضخم من المعارف الإنسانية"[406].

فإذا كان نقل العربية على هذا الحال الذي وصفت، فيكفيكه دليلا على أهمية الحفظ، وعلو شأنه في ضبطها، والحفاظ عليها من الضياع؛ إذ لولاه لما وصلنا ما وصل من تراثهم، ولما استقامت لأحدنا ملكة في قول الشعر والنثر.

وهذا الحفظ الذي صار مثلبة يعير به المعتني به، كان محط ثناء المتقدمين وتزكيتهم، يضفي عليه صفة الإجلال والإكبار، فانظر إلى قولهم في الإمام ابن حزم (ت 456هـ)، وهو وإن كان معدودا في طبقة الفقهاء

[405]- الجوهري، "تاج اللغة وصحاح العربية"، (33/1).

[406]- الطناحي، "مقالات العلامة الدكتور محمود محمد الطناحي"، (150/1).

والأصوليين، إلا أني استشهدت به هنا لعلو كعبه في اللغة، وحوزه قصب السبق في قول الشعر، وفوته لأقرانه في كتابة الرسائل والخطب[407].

قال فيه أبو عبد الله الحميدي (ت 488هـ): "ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء، وسرعة الحفظ، وكرم النفس والتدين، وكان له في الأدب والشعر نفس واسع، وباع طويل، وما رأيت من يقول الشعر على البديه أسرع منه، وشعره كثير جمعته على حروف المعجم"[408].

فتأمل في قوله اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ، مما يُنْبِيكَ أنه ليست بينهما قطيعة، وليس بينهما تناقض.

وهذا مما سارت به كتب التراجم، وحفلت به مصنفات السير، وخذ شاهدا يتابع النص السابق في ترجمة أبي عبد الله محمد الأموي القرطبي العطار المالكي (ت 399هـ)، قال الصفدي (ت 764هـ): "كان حافظا متيقظا أديبا شاعرا ذكيا نحويا"[409].

وقد نقل الإمام السيوطي (ت 911هـ) نصوصا كثيرة تدل على هذا الأصل في تحصيل الملكة، منها قوله في أبي بكر ابن دريد (ت 321هـ): "أملى ابن دريد الجمهرة من حفظه سنة سبع وتسعين ومائتين، فما استعان عليها بالنظر في شيء من الكتب؛ إلا في الهمزة واللفيف"[410].

وقد نقل أن بعض اللغوين كان يحفظ كتبا كاملة، كالصحاح، والعين، وكتاب سيبويه؛ منهم: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، المعروف بحمدون النحوي (ت ما بعد 200هـ)[411]، و أبو عبد الله محمد بن حجاج الإشبيلي (ت 707هـ)[412]، و أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي السبتي (ت 900هـ)[413]، و أبو محمد عبد

407- أضف إلى ذلك أن كثيرا من علماء الشريعة كانوا أصحاب قلم سيال، ولغة عالية، وأدب رفيع، ويكفيك دليلا على هذا أن الإمام ياقوت الحموي أدخل في معجم تراجم الأدباء، كثيرا من الفقهاء، والأصوليين، والمحدّثين.

408- الذهبي، "سير أعلام النبلاء"، (188/18).

409- الصفدي، "الوافي بالوفيات"، (39/2).

410- السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة"، (78/1).

411- قال السيوطي: "إنه أعلم بالنحو خاصة من المهري، لأنه كان يحفظ كتاب سيبويه"، "بغية الوعاة"، (56/1).

412- قال السيوطي: "كان قرأ النحو على الشلوبين، وكان يحفظ كتاب سيبويه"، "بغية الوعاة"، (74/1).

413- قال السيوطي: "كان من صدور الحفاظ، لم يستظهر أحد في زمانه من اللغة ما استظهره؛ آية تتلى ومثال يضرب؛ قائما على كتاب سيبويه يسرده بلفظه"، "بغية الوعاة"، (164/1).

الله بن الحسن اليحصبي (ت 557هـ)[414]، وقد ذكر عن أبي القاسم إبراهيم بن عثمان بن الوزان القيرواني (ت 346هـ) اللغوي النحوي الحنفي أنه كان يحفظ العين وغريب أبي عبيد المصنف وإصلاح ابن السكيت وكتاب سيبويه وغير ذلك[415].

أما حفاظ الشعر فهم من الكثرة بما لا نستطيع إحصاءهم، فمنهم من كان يحفظ سبعمائة قصيدة، كأبي عمر الكرخي الأصبهاني (ت 535هـ)[416]. وقد قال الذهبي (ت 748هـ) في أبي الحجاج يوسف بن محمد الأنصاري البياسي (ت 653هـ): "كان علامة أخباريا، لغويا بارعا في العربية وضروبها. وكان يحفظ الحماسة وديوان المتنبي و أبي تمام وسقط الزند للمعري، والسبع المعلقات"[417].

وقال خير الدين الزركلي (ت 1396هـ) في أبي تمام جبيب بن أوس (ت 231هـ): "الشاعر، الأديب. أحد أمراء البيان (...) [كان] فصيحا، حلو الكلام، فيه تمتمة يسيرة، يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة من أراجيز العرب غير القصائد والمقاطيع. في شعره قوة وجزالة"[418].

كما أن الحفظ عند علمائنا لم يكن قسيما للفهم، ولم يكن منزلة منفصلة عنه، فقد نقل عنهم ما يدل على أهمية الاعتناء بفهم المحفوظ، وطلب ما خفي من دلالته؛ لأن ذلك هو السبيل إلى رسوخه، والطريق إلى قراره ومكثه.

ذكر ياقوت الحموي (ت 626هـ) في ترجمة أبي بكر محمد بن أحمد بن عبد الباقي بن منصور، المعروف بابن الخاضبة (ت 489هـ)، قال: "كان حافظا فهما"[419].

والنقول في هذا الباب أشهر من استدعائها كلها، فيغنيك أن تفتح معجم الأدباء لياقوت الحموي، أو الوافي بالوفيات للصفدي، أو سير أعلام النبلاء للذهبي، أو بغية الوعاة للسيوطي، لتقف بنفسك على ما ذكرت لكني سقتها لأبين أن التائق إلى تحصيل الملكة يلزمه أن يعطي الحفظ حقه، والفهم والنظر حقه، فلا تطغى منزلة

414- قال السيوطي: "كان أستاذا نحويا، من أهل المعرفة التامة بالعربية والأدب، فذ الناس في ذلك في وقته؛ يحفظ كتاب سيبويه كحفظه للقرآن"، "بغية الوعاة"، (38/2).

415- السيوطي، "بغية الوعاة"، (419/1).

416- السيوطي، "بغية الوعاة"، (476/1).

417- الذهبي، "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام"، (750/14).

418- الزركلي، "الأعلام"، (165/2).

419- ياقوت الحموي، "معجم الأدباء"، (2356/5).

على أخرى؛ لأنه متى أهمل جهة؛ تعطلت، فيدخل عليه نقص من جهتها؛ لأن الحفظ والفهم جناحان لا يستقيم تحليقه في سماء الأدب إلا بهما.

ومن جميل النصوص التي وضعت الحفظ في مكانته، والفهم في منزلته، دون إفراط ولا تفريط، نص لأبي عثمان الجاحظ (ت 255هـ) المبدع في رسائله، حيث عقد مقارنة بينهما، فجاء عِقده كما تقرأ. قال بعد عرضه مذهب من رجح أفضيلة الفهم على الحفظ: "القضية الصحيحة، والحكم المحمود: أنه متى أدام الحفظ أضر ذلك بالاستنباط، ومتى أدام الاستنباط أضر ذلك بالحفظ، وإن كان الحفظ أشرف منزلة منه. ومتى أهمل النظر لم تسرع إليه المعاني، ومتى أهمل الحفظ لم تعلق بقلبه، وقل مكثها في صدره"[420].

إن للحفظ أثرا كبيرا في إنماء الثروة اللغوية، وإخصاب تربة الصور البلاغية، و إنضاج ثمار الأساليب البيانية، حتى يسهل جريانها على قلمه ولسانه، فيقع منه ذلك وقع النحل على الزهر والرحيق، يتخير منه الأعذب مذاقا، فيخرج من بطن قلمه بهذا المنتخب عسل مصفى، مختلف مذاقه ولونه. فالحفظ إذن هو العمود الذي يستند إليه أرباب الذوق العالي، والبيان الراقي، ولا يوجد أديب أو شاعر بزّ أقرانه، وفاق خلانه، وحاز القدح المعلى في هذه الصناعة، إلا وله مخزون من حفظه يتكئ عليه، ويغرف منه جميل الشواهد، وبديع الأمثلة، ونوادر الحكم، وشوارد القصص، فلا تمل من قراءة مكتوبه ولا تكل، ولكن لما قلت ملكة الحفظ بين صفوف الطلبة في هذا العصر، واستغنوا عنها بالمطالعة العابرة، والتصفح الوامض، صرت تقرأ نصا عديم الحلاوة، لا عذوبة فيه ولا بهاء، وكأنك في صحراء لا كلأ فيها ولا ماء، أو أمام جثة هامدة، رفعت منها الحياة، وإن تحلية الكلام بنقول الأجداد لهو الحياة الحقيقة لو كانوا يتعظون.

فالمنهج إذا أن يأخذ الطالب نفسه بانتقاء عيون الأشعار، وجميل الخطب والرسائل، ويحفظ منها ما شاء، ويعود آذانه على سمعها، ويدرب قلمه على محاكاتها، فيكتب في كل يوم ما تسمح به نفسه، محاولا اقتباس نقول مما حفظ، و آثار مما قرأ، ثم إذا فرغ من ذلك، فلينصب إلى عرضها على ذي خبرة في صناعة الكلام، أو يعرضها على نص من نصوص المتقدمين، ليرى عواره، ويستخرج علله. فبطول الاختلاف والمعايشة لكلام العرب يتنزل أسلوبه منزلة العربي.

يقول الإمام ابن خلدون (ت 808هـ) في سياق حديثه عن منهج تحصيل الصناعة اللغوية: "إن حصول ملكة اللسان العربي إنما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب حتى يرتسم في خياله المنوال الذي نسجوا عليه

[420]- الجاحظ، "الرسائل"، (3/29-30).

تراكيبهم فينسج هو عليه ويتنزل بذلك منزلة من نشأ معهم وخالط عباراتهم في كلامهم حتى حصلت له الملكة المستقرة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم"[421].

فلا تبغ عن مسلك هؤلاء بدلا، ولا تول وجهك إلى غير قبلته، ولا تحد عنه قيد أنملة؛ فإن للحفظ عليك حقا، وإن للفهم عليك حقا، فاعط لكل ذي حق حقه.

فرجع بنا القول إذن إلى أن الحفظ والممارسة من أعمدة اكتساب الملكة اللغوية، ومستند كل رائم قول الشعر أو النثر، ولست تجد في ذلك معارضا ولا منازعا، إلا أن يكون من أرباب الكسل والخمول، لا تسمع لأدبهم همسا، ولا تجد لشعرهم ذيعا ولا صيتا، فاتخذوا التمويه مطية إلى حجب عورتهم؛ لأن هذا الأمر من المسلمات البدهيات التي كان العلماء يحملون طلابهم على لزومها، ويحثونهم على الاستكثار منها، ومن حاد عنها تغشاه ران ضيق الأسلوب، وعصفت به رياح الجهل إلى أرض الخمول والنسيان.

وخذا لك شاهدا يكفيك ويغنيك لأبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت 392هـ)، في معرض حديثه عن أدوات اكتساب القدرة على نظم الشعر، قال: "إن المطبوع الذكي لا يمكنه تناولُ ألفاظ العرب، إلا رِواية؛ ولا طريقَ للرواية إلا السمع؛ وملاكُ الرواية الحفظ"[422].

وقد أدرك الأدباء المعاصرون هذه الحقيقة، فأخذوا أنفسهم بلزوم جادة الصواب في هذا الأمر، وحملوا أنفسهم في بدء السير على الحفظ، والمطالعة، والمذاكرة، والكتابة، وأعطوا لكل مسلك حقه ومستحقه، فما من أديب إلا ويستند إلى مقاطع شعرية، أو نصوص نثرية، أو حكم وأمثال عربية، يغرف من معينها، ويتلمس من جليل فصاحتها ما يحلي به كلامه، ويزين به أسلوبه، ولولا الإرث اللغوي الذي تملكوه في مراحل النشأة، لما تدسس كلامهم إلى مكامنك الروحية، ولما تغلغل إلى مدب السرائر الخفية.

وأحب للقارئ أن يقف على نماذج من هؤلاء المعاصرين، الذي خلدوا إرثا أدبيا ساميا، وتركة علمية انتفع بها من جاء بعدهم، حتى صارت مؤلفاتهم منطلقا لكل راغب في اكتساب الذائقة الأدبية، والأسلوب الفصيح، وبعضهم كان له جلد على المطالعة، وصبر على جرد المطولات، وهو ما يزال في الثانوية العامة، فلم يحل صغر السن بينهم وبين هذه الموسوعات، وذلك راجع إلى حسن توجيه الآباء، وتحفيز المدرسين، وتنافس الأقران على معالي الأمور.

---

[421]- ابن خلدون، "المقدمة"، (774/1).

[422]- الجرجاني، "الوساطة بين المتنبي وخصومه"، (ص: 16).

يقول الزركلي (ت 1396هـ) في إبراهيم المازني (ت 1368هـ): "قرأ كثيرا من أدب العربية والانكليزية، وكان جلدا على المطالعة، وذكر لي أنه حفظ في صباه الكامل للمبرد غيبا، وكان لك سرّ الغنى في لغته"[423].

ويحكي العلامة محمود شاكر (ت 1418هـ) عن نفسه، واصفا مراحل طلبه: "حفظت ديوان المتنبي و أنا في الر ابعة الابتدائية (...) وظللت أتابع حفظ الشعر، وقراءة الكتب، وقرأت و أنا في السنة الأولى الثانوية لسان العرب حرفا حرفا من أوله إلى آخره"[424].

وقال في موضع آخر من جمهرة مقالاته: "عقدت النية على قراءة هذا الكتاب لتصحيحه، وضبطه، ولم أوفق إلا لقراءته للمرة الثانية"[425].

ويقول أديب الفقهاء علي الطنطاوي (ت 1420هـ): "لقد كنا في المدارس الابتدائية نقرأ الكتب الكثيرة، حتى إنني قرأت كتاب الأغاني كله في عطلة الصيف أمضيتها بعد السنة الثانوية الأولى"[426].

ومن ألمع الشواهد وأجلاها دلالة على أهمية الحفظ في نظم الشعر وقرضه، ما جرى على لسان عميد الرو اية، نجيب محفوظ (ت 2006م)، الذي كان صادقا في معرفة خبء نفسه، مخلصا في النصح لأهل عصره، مصرحا أن سبب انصر افه عن الشعر إلى الرو اية، عدم قدرته على الحفظ. قال: "كنت أحب الشعر، وكتبته، وكان في إمكاني الاستمرار؛ خاصة أن الشعر له تراث عريق في الأدب العربي؛ بل هو كما يقال بصدق: ديوان العرب. والسبب الذي جعلني أتراجع عن كتابة الشعر، هو افتقاري لملكة الحفظ التي يقوم عليه الشعر"[427].

وأختم هذه النماذج، بإمام مصلح، وعلامة لغوي خريت، وهو محمد البشير الإبراهيمي (ت 1385هـ) فقد ذكر في سيرته شيئا عجبا، يدلك أن الله تعالى يدخر للمتأخر من الفتوحات والعطاءات ما يضاهي به ما كان عليه المتقدمون، يقول: "أنا مدمن قراءة من عهد الصغر، فقد بدأت قراءة الكتب وعمري تسع سنوات في السنة التي فرغت فيها من حفظ القرآن، وكان أستاذي وهو عمّي شقيق والدي الأصغر يتولّى تربيتي وتوجيهي، ويأخذني مع حفظ القرآن بحفظ مختارات من الشعر العربي البليغ في معانيه، الفصيح في ألفاظه، الغريب في فهمه؛ فما حفظت القرآن حتى كنت أحفظ معه بضعة الألف بيت من الشعر ما بين أبيات مفردة ومقطع مع فهم المفردات،

---

[423]- الزركلي، "الأعلام"، (72/1).

[424]- وجدان العلي، "ظل النديم"، (ص: 100).

[425]- شاكر، "جمهرة مقالات الأستاذ محمود شاكر"، (757/2).

[426]- الطنطاوي، "الذكريات"، (321/8).

[427]- النقاش، "صفحات من مذكرات نجيب محفوظ"، (ص: 57).

وأعانني على الفهم ما صحب حفظي للقرآن من حفظ الكثير من الألفاظ اللغوية الفصيحة من كتاب كفاية المتحفّظ للأجدابي، والفصيح لثعلب والألفاظ الكتابية للهمداني"[428].

وقال في موضع آخر: "حفظت القرآن حفظًا متقنًا في آخر الثامنة من عمري، وحفظت معه و أنا في تلك السنّ، نتيجة للتنويع الذي ذكرته- ألفية ابن مالك وتلخيص المفتاح، وما بلغت العاشرة حتى كنت أحفظ عدّة متون علمية مطولة، وما بلغت الرابعة عشرة حتى كنت أحفظ ألفيتي العراقي في الأثروالسير، ونظم الدول لابن الخطيب ومعظم رسائله المجموعة في كتابه ريحانة الكتاب، ومعظم رسائل فحول كتاب الأندلس كابن شهيد و ابن أبي الخصال و أبي المطرف ابن أبي عميرة، ومعظم رسائل فحول كتاب المشرق كالصابي والبديع، مع حفظ المعلقات والمفضليات وشعر المتنبي كله وكثير من شعر الرضي و ابن الرومي و أبي تمام والبحتري و أبي نواس، كما استظهرت كثيرًا من شعر الثلاثة جرير والأخطل والفرزدق، وحفظت كثيرًا من كتب اللغة كاملة كالإصلاح والفصيح، ومن كتب الأدب كالكامل، والبيان، وأدب الكاتب، ولقد حفظت و أنا في تلك السن أسماء الرجال الذين ترجم لهم نفح الطيب وأخبارهم وكثيرًا من أشعارهم، إذ كان كتاب نفح الطيب- طبعة بولاق- هو الكتاب الذي تقع عليه عيني في كل لحظة منذ فتحت عينيّ على الكتب، وما زلتُ أذكر إلى الآن مو اقع الكلمات من الصفحات وأذكر أرقام الصفحات من تلك الطبعة، وكنتُ أحفظ عشرات الأبيات من سماع واحد مما يحقق ما نقرأه عن سلفنا من غرائب الحفظ"[429].

فإذا تأملت هذه النماذج تأمل البصير المستفيد، وأخذتها أخذ الذي ألقى السمع وهو شهيد، أدركت حجم الضعف الذي يعاني منه مدعو الأدب في هذا العصر، وأحطت بالعلة الموجبة لهذا الهزال الذي تطالعه، ووقفت على الداء الذي هد بنيان البيان العذب السامق، وما ذلك إلا لضعف ملكة الحفظ، وفتور الهمة عن جرد المطولات، والخلود إلى الدعة والكسل، والاسترواح بالمطالعة في المنتديات العامة، والاكتفاء بمنشورات مو اقع التواصل الاجتماعي، التي يخرج منها القارئ بثقافة عامة، وعبارات جافة، وأسلوب ركيك، وبلاغة مشوهة، لا ترقيه إلى مضارعة أسلوب هؤلاء. فلا عجب أن تصادف شعرا ساقطا، ورو اية تافهة، وأن يصاربنا إلى ما سماه محمود شاكر بفوضى الأدب.

يقول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي (ت 1385هـ): "إن المتبحر في قراءة الأصول الأدبية في أدبنا العربي بمعناه الواسع العام، لا يعرف في أدبائنا الناشئين أثر الكتب التي قرأوا، وما قرأوا إلا النزر اليسير؛ فنصيحتي الخالصة للأدباء الناشئين أن يوفوا حظهم قراءة الكتب العامرة التي تقوى بها الملكة، ويفحل الطبع، وتزكو

[428]- الإبراهيمي، "آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي"، (372/4).

[429]- الإبراهيمي، "آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي"، (165/5).

الثمرة، فإني أرى في كثير مما أقرأ هذه الأيام من الآثار الأدبية لناشئتنا أعراضا تشبه أعراض فقر الدم في الأجسام: نحول واصفرار"[430].

وقال الأستاذ محمود شاكر (ت 1418هـ): "أكثر ما بأيدينا من الأدب إنما يدل دلالة بينة مكشوفة عن حقيقة الفوضى التي جعلت عقول بعض الأدباء كسطح المنخل، لا تمسك حبها على الهز"[431].

فمن أبصر طريق الحق في التلقي، واهتدى إلى مسلك التأصيل، ورزق همة عالية، وحبا صادقا، فليدخل العلم من كل باب يؤدي به إلى حفظه، وليطوقه من كل جانب يعينه على ضبطه، إما أن يكون ذلك باستظهار ما هو بحاجة إليه، أو بتلخيص مسائله، ومذاكرة مباحثه، وتعليم مبادئه، أو التأليف في جزئية من جزئياته، وكل هذا لا يخرج عن دائرة حفظ العلم.

يقول الشيخ إبراهيم السكران: "من أسباب سوء الفهم في مسألة حفظ العلم، ظن الكثيرين أن حفظ العلم بتكرار لفظه، بتعيين مقطع وتكراره، وهذا صحيح جزئيا، لكنه ليس هو الطريق الوحيد؛ بل الصحيح أن كل وسائل "معاناة العلم" بإدمان النظر فيه، وتقليبه، وتأمله وتدبره؛ بالشرح، والتلخيص، والتعليم، والتحقيق، والتحرير، والمدارسة والمباحثة...إلخ كلها من وسائل حفظ العلم، ورسوخه في الذهن"[432].

وأختم هذا الأساس بالتنبيه إلى طرف مما له صلة بكتاب الله عزوجل، وهو حاجة المفسر إلى معرفة معهود العرب في خطابها، وحاجته إلى حفظ شواهد أشعارها، فإن تفجير المعاني القرآنية، والكشف عن مراد الله في آيه، متوقف على درك هذا الأصل، ومفتقر إلى هذا الأساس، ومن ظن أن القرآن يفهم كما ينبغي من غير تحقيق كلام العرب، وتتبع أشعارهم، وتدبرها كما يجب فهو مخطئ.

يقول الإمام اللغوي الكبير جار الله الزمخشري (ت 538هـ): " ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني وعلم البيان وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقير عنهما أزمنة، وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة اللَّه، وحرص على استيضاح معجزة رسول اللَّه بعد أن يكون آخذاً من سائر العلوم بحظ، جامعا بين أمرين: تحقيق وحفظ كثير المطالعات، طويل المراجعات قد رجع زمانا ورجع إليه، ورد ورد عليه فارسا في علم الإعراب"[433].

---

[430]- الإبراهيمي، "آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي"، (374/4).

[431]- شاكر، "جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر"، (832/2).

[432]- السكران، "مسلكيات"، (ص: 42).

433- الزمخشري، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، (2/1).

ولهذا تجد جمعا من المفسرين يحفظ أشعارا كثيرة، ويستظهر أمثالا وحكما، يستعين بها على فهم كلام الله عزوجل، منهم الإمام ابن عطية (ت 542هـ)، الذي قال فيه خير الدين الزركلي (ت 1396هـ): "كان يحفظ خمسين ألف بيت للاستشهاد على معاني القرآن"[434].

وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول: "إذا قرأتم شيئا من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب؛ فإن الشعر ديوان العرب. وكان إذا سئل عن شيء من القرآن أنشد فيه شعرا"[435].

فهذا جماع هذا الأساس، وخلاصة هذا العقد، وإخاله أساس النبوغ الأدبي، وركن صناعة الكلام، ولنجعل مسك ختامه، نصا لشيخ العربية، وحارس حدود البيان، الأستاذ محمود شاكر (ت 1418هـ) قال: "إن الحفظ الأول للآثار الأدبية الرائعة قديمها وحديثها، هو الذي يخرج الأديب، والكاتب، والشاعر، انظر إلى المنفلوطي، والرافعي، وشوقي، وحافظ، والبارودي، والزيات، وطه حسين، كل هؤلاء لم يكونوا كذلك إلا لأنهم نشأوا وقد حفظوا القرآن أطفالا، فحملهم ذلك على متابعة حفظ الآثار الأدبية الجليلة، ثم حفز هذا المحفوظ ما انطووا عليه من الطبيعة الأدبية التي استقرت في أنفسهم وأعصابهم، فلما استحكموا استحكمت لهم طريقتهم في الأدب، والشعر، والإنشاء، ولولا ذلك لما استطاعوا أن يكونوا اليوم إلا كما نرى من سائر من تخرجهم دور التعليم بالآلاف في كل عام ينقضي من أعوام الدراسة"[436].

ولست مضطرا إلى تفصيل أكثر، فقد بانت الحجة، وانكشف الغطاء، ووضح الطريق، ولاح برهان البصيرة لمريده، وفيما سطر غنية لكل معتبر.

المسلك الثاني: أثر المذاكرة في اكتساب الملكة اللغوية.

إذا استقرت نبت العلم في تربة الطالب، وأرسى بذوره في أرض التحصيل، وتعهده الشيخ بغيث التوجيه والتأصيل؛ فليحرص على لقاحه بالمذاكرة مع ذوي النبوغ والرسوخ؛ فإن ذلك أدعى لإثماره، وأسرع إلى نوال حصاده، والتنعم بوافر غلاله؛ لأن المذاكرة تجعل الطالب متهيئا لدفع الإيرادات، والإجابة عن الاعتراضات، وتمهره في حل عويص الإشكالات، وتفتق لسانه في الإبانة عن حجته، وتكسبه قدرة الإفصاح عن مراده، وتقيه غوائل العي والحبسة، وتجنبه معرة الحصر واللحن، وهذه عوائد لا يحصلها ملتمس العلم منفردا، ولا يدركها بالانكفاء على نفسه؛ لأن الطالب حال القراءة الشخصية، لا يثور المعرفة حق التثوير، ولا يقلبها على جهات عدة، ولا يلاحقها بالمساءلة والمعارضة، ولا يسلط على حصيلته العلمية معاول النقد والنقض، ولا يضعها على مشرحة

434- الزركلي، "الأعلام"، (103/4).

435- ابن رشيق، "العمدة في محاسن الشعر"، (30/1).

436- شاكر، "جمهرة مقالات محمود شاكر"، (153/1).

الاختبار، فإذا عرضها في مجالس المذاكرة، وطرحها في حلق المناقشة، ظهر له عوارها، و انكشف ضعفها، فيحسر عن ذراعيه، ويشمر عن ساقيه، ويعد للأمور أقرانها.

كما تظهر فائدة المذاكرة في تقويم الاعوجاج، وتصحيح التعثرات، ورأب صدع التشققات، فالطالب قد يؤسس بنيانه على أصول رخوة، وأسس هشة، ويحسب أنه قد أتى فيها على التمام والكمال، فإذا عرضها على أرباب العقول المتقدة، والأذهان النافذة، بهرجوا مادة بنائه وخبروها، وفككوا أجزاءها وسبروها ليستبين الخبيث من الطيب، ويَمِيز الأصيل من الدخيل، ولا شك أن هذا التقويم الذي يطال المعارف في مجالس المذاكرة –وغيرها-، والنقد الذي يوجه إلى المناهج التي شيدت بها يسهم في تصفية ما أسس على بصيرة وتحقيق ونظر، وما أسس منها على شفا جرف هار؛ فتكون بذلك أصالة العلم وجودته، متوقفة على متانة النقد، ودقة الاستدراك.

فالمذاكرة مع الأقران، ومناقشة المسائل مع الشيوخ تعين على ترسيخ العلم، وتفيد في جلاء صدأ الأذهان، وتساعد على استثارة المعارف الراكدة، وتحفز القدرات الخامدة، ومن لم يشفع عقله إلى عقول أخرى، لم يقو على المناظرة والمجادلة، ولم يتمكن من دفع حجج خصومه، ولم يسطع رفع اعتراضاتهم.

يقول الإمام ابن حزم (ت 456هـ): "لقد انتفعت بمحك أهل الجهل منفعة عظيمة، وهي أنه توقد طبعي، واحتدم خاطري، وحمي فكري، وتهيج نشاطي؛ فكان ذلك سببا إلى تواليف لي عظيمة المنفعة. ولولا استثارتهم ساكني، و اقتداحهم كامني؛ ما انبعثت لتلك التواليف"[437].

وقال عمر بن عبد العزيز (ت 101هـ): "ما رأيت أحدا لاحى الرجال إلا أخذ بجوامع الكلم". قال يحي بن مزين: "يريد بالملاحاة هاهنا المخاوضة، والمراجعة على وجه التعلم، والتفهم، والمذاكرة، والمدارسة، والله أعلم"[438].

وفي سياق ربط ما نحن فيه بمسالك اكتساب الملكة؛ فإن القدرة على الإفصاح والإبانة من مقوماتها ومن ركائزها المهمة الملكة. والمذاكرة من أنفع الطرق الموصلة إلى درك هذا المقصد؛ فقد تجد الطالب كثير القراءة، واسع المطالعة، لكنه إذا خاطب تلجلج في كلامه، وأصابته الحُكلة[439] والحبسة، ولم يطاوعه لسانه، وأعياه انطلاقه مبينا، وتعصى الانقياد له، وليس ذلك إلا لهجره رياضة اللسان، والزهد في ملاحاة الأقران. و"كان يزيد بن جابر، يقال له الصموت؛ لأنه لما طال صمته؛ ثقل عليه الكلام، فكان لسانه يلتوى، ولا يكاد يبين"[440].

---

[437]- ابن حزم، "الأخلاق والسير في مداواة النفوس"، (ص: 49).

[438]- ابن عبد البر، "جامع بيان العلم وفضله"، (156/2).

[439]- قال الجاحظ في "البيان والتبين" (40/1): "إذا قالوا في لسانه حكلة فإنما يذهبون إلى نقصان آلة المنطق، وعجز أداة اللفظ، حتى لا تعرف معانية إلا بالاستدلال".

[440]- الجاحظ، "البيان والتبيين"، (38/1).

وهذا الذي عاناه يزيد بن جابر ينطبق على كثيـــر من طلبة العلم في هذا الزمان، تجدهم يقطعون كل مراحل التحصيل في حفظ المتون واستظهارها، والتردد على حلق العلماء وتقييد ما يجري على ألسنهم من الشرح والتوضـيح، لكنهم إذا حملوا النفس على الكلام المسـترسـل المرسـل، كان قلع ضـرس أهون عليهم من تكلف الحديث، فنتج عن طول الصـمت داء العي، وتولدت عنه عقد اللسـان، ولا تجد طالبا فاق أقرانه في هذا الباب إلا إذا مارس الخطابة، أو جلس للمذاكرة والتعليم؛ أقصد إعادة شرح الدروس للطلبة.

لقد كان العلماء يجدون سـلوتهم في طلب الفائدة الدقيقة، والنكت اللغوية اللطيفة، ويلتذون بذلك ويتمتعون، حتى قيل لبعض العلماء: "أي الأمور أمتع؟ قال: مجالسة الحكماء، ومذاكرة العلماء"[441].

فلم يكن القصد من المذاكرة إلا لاتصال الدائم بالعلم، والصحبة المستمرة لذويه وأهله، والاستعانة بهم على إحياء الهمة، و إيقاظ الرغبة، وطرد ما يجده من الفتوروالدعة، بالإضـافة إلى العو ائد التي سـبق بسـطها، فكانت بذلك المذاكرة حياة العلم حقا، وأحيى الله أياما كانت مجالس أهل الأدب مليئة بالنكات اللغوية الطريفة، والتحقيقات البلاغية النفسـية، القصـائد المنتخبة العالية، و الرسـائل المحبرة البديعة، فلم يكن الحديث إلا في الأدب والكتب.

يقول الأديب إبراهيم المازني (ت 1949م): "كان حديثنا إذ نجتمع في الأدب والكتب، وكانت رسـائلنا التي نتبادلها في الصيف حين نتفرق لا تدور إلا على ما نقرأ، وكان أحدنا يلقى صاحبه في الطريق اتفاقا، فيقول له: لقد عثرت على كتاب نفيس، فتعال نقرأه. لا يدعوه إلى طعام، أو شـراب، أو سـينما، أو لهو؛ بل إلى قراءة كتاب. وكان كل من يقع على كتاب قيم يخف به إلى صاحبه، فينبئه به، ويلخصه له، ويحضه على اقتنائه"[442].

بهذا بلغ الأدباء شـأوا بعيدا، وناولوا مجدا أثيلا، وتركوا إرثا يقتبس من نوره كل ملتمس للعلم والأدب؛ أما طلاب زماننا فقد قصروا همهم في التحصيل على ما ينالون به الشهادات والمناصب، حتى إذا أدرك أحدهم ما كان يطمع لحوقه، طلق العلم طلاقا بائنا، وهجر الكتب هجرا مشـينا؛ بل سـمعنا من باع مكتبته دون حاجة أو فاقة، بل رغبة في التخلص من أعباء العلم. فنعوذ بالله من الخذلان، ونسأل الله الثبات.

ومن ألقى سـمعه إلى ما يتداوله الطلبة في المجالس الخاصـة، تلقف ما يتفطرله القلب، وما تأنف الآذان إصـغاءه، وما تفر الطباع السـلمية من قبوله، من كلام سـاقط، وحديث ماجن، وصـخب فاضـح، وقلة مروءة ودين، فإذا نزهوا المجلس عما يسـقط العدالة، ويخرم مقومات الرجولة، فأقصـى ما تسـتفيده حديث في ماجريات الحياة، وكلام في الملح التي لا صـلة لها بصـلب العلم، فتخرج بغير القلب والهمة التي بهما دخلت، وإذا

---

[441]- الجاحظ، "البيان والتبيين"، (107/2).

[442]- قائد، "العمر الذاهب"، (ص: 65).

حدثتك نفسك بتذكيرهم بما كان عليه السلف من علو الهمة في المذاكرة، والتنافس في سرد الكتب وجردها، وتحصيل فوائدها، وتقييد شواردها؛ سلقوك بألسنة حداد، أشحة على خير التعلم، وإن طاوعوك مرة، لمست اثقالا ونفرة مرات، ولمحت أعينا تنظر إليك نظر المنتهز فرصة الفرار، وإن أثقل مجلس على البطالين مجلس لا يسمع فيه إلا صوت الورق يقلب، أو بري قلم يحد، ولا يجد من الروائح إلا رائحة تراب الأسلاف تفوح من مجلدات المجد والفخر، كيف يلتذ بهذا من جعل لذته في الشهوات الجسمانية، وألقى بنفسه في براثن المدنية المعاصرة؟

خاتمة: إن للملكة شأوا بعيدا، ومنزلة سامقة رفيعة، لا تدرك بالتمني، ولا تنال بسوف، ولعل ولو أني؛ بل إن السالك في دروب تحصيلها ملزم بالانضباط إلى أسس رصينة، ومسالك علمية متينة، متى انخرم واحد منها، أو ضاع عقد من أسسها، انخرمت ماهية الملكة اللغوية، مع ضرورة شفع ذلك بالصبر على التأمل في الكتب المؤسسة للغة، ومواظبة على التدبر في ميراث أصحاب القلم الأدبي المبين، مع همة تأبى لصاحبها أن يقنع إلا بالتمام، وأن تربع إلا بعد بلوغ الغاية.

ولا ينبغي أن يغفل عن ينبوع التوفيق والسداد، وعن مصدر الفتح والعون والرشاد، وهو دوام قرع باب الدعاء، وإظهار الذل والافتقار إلى الله سبحانه وتعالى، مع الإكثار من الأسباب التي تعرضه رحمات ربه، فالعلم فتوحات ربانية، وعطاءات صمدانية، لا يمنحها جل وعلا إلا لمن طهر قلبه من الأغيار، وخلصه من غوائل الأكدار، وتحقق بصفات عباد الرحمن، وجعله قبلة مولية إلى ما يُرضيه جل وعلا.

المصادر والمراجع:

- الإبراهيمي، محمد بن بشير بن عمر، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ط: 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة: 1997م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، أليس الصبح بقريب، ط: 3، دار السلام، القاهرة، سنة: 2010م.
- أبو موسى، محمد ، مناهج علمائنا في بناء المعرفة، محاضرات لكلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، سنة: 1999م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، سنة: 1423هـ.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي، رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة سنة: 1964م.
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط: 4، دار العلم للملايين، بيروت، سنة: 1987م.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ط: 2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، سنة: 1979م.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، ط: 3، مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة: 1985م.

- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهيروالأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، ط: 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة: 2003م.
- ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعروآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: 5، دار الجيل، بيروت، سنة: 1981م.
- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الأعلام، ط: 15، دار العلم للملايين، بيروت، سنة: 2002م.
- الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط: 3، دار الريان للتراث، القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت، سنة: 1987م.
- السكران، إبراهيم بن عمر، مسلكيات، ط: 1، مركز تفكير للبحوث، سنة: 2015م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان.
- شاكر، محمود محمد، جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر، جمعها: عادل سليمان جمال، ط: 3، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة: 2013م.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، سنة: 2000م.
- الطناحي، محمود محمد، مقالات العلامة الدكتور محمود محمد الطناحي، ط: 1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، سنة: 2002م.
- الطنطاوي، علي بن مصطفى، ذكريات، راجعه وصححه وعلق عليه: مجاهد مأمون ديرانية، ط: 5، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، سنة: 2006م.
- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف النمري القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، ط: 1، دار ابن الجوزي، السعودية، سنة: 1994م.
- العلي، وجدان، ظل النديم أوراق وأسمار شيخ العروبة، ط: 1، عالم الأدب، بيروت، سنة: 2016م.
- القائد، عبد الرحمن بن حسن، العمر الذاهب رحلة المازني المعرفية من القراءة إلى الكتابة، ط: 1، آفاق المعرفة للنشر والتوزيع، الرياض، سنة: 2021م.
- النقاش، رجاء عبد المؤمن، صفحات من مذكرات نجيب محفوظ، دار الشروق، القاهرة.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي، معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، تحقيق: إحسان عباس، ط: 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة: 1993م.